سُورَةُ النِّسَاءِ

سُورَةُ النِّسَاءِ

التعريف العام بالسورة:

سورة النّساء مدنيّة بإجماع المفسّرين، نزلت جميع آياتها بعد الهجرة؛ فقد أخرج البخاري بسنده عن عائشة أمّ المؤمنين ﵂ قولها: «مَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَه»[1] وتقصد بذلك أنّها كانت عند النبيّ ﷺ زوجة له، ومن المعلوم أنّ النبيّ ﷺ إنّما تزوجها بعد الهجرة في المدينة المنورة.

وَهِي مئة وَخمس وسَبْعُونَ آيَة عند الْمَدَنِيين والمكيّين والبصريّين، ومئة وَستّ وسَبْعُونَ آية عند الْكُوفِيّين، ومئة وَسبع وسَبْعُونَ آية عند الشَّاميّين[2]، وذلك بحسب اختلافهم في الوقوف على فواصل آياتها.

وسورة النّساء هي الرابعة في ترتيب المصحف الشريف بعد سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران، وأمّا في ترتيبها النّزوليّ فقد قيل إنّها السادسة نزولًا في العهد المدنيّ بعد البقرة والأنفال وآل عمران والأحزاب والممتحنة[3]، والثالثة والتسعون في التّرتيب النزوليّ الكليّ للقرآن الكريم، وسورة النّساء من السبع الطوال تأتي في الطول مباشرة بعد سورة البقرة، حيث تبتدئ من الجزء الرابع وتنتهي في الجزء السادس من أجزاء القرآن الكريم.

أسماء السورة الكريمة:

سورة النّساء توقيفيّة الاسم، ولا يُعرف لها اسم آخر تعرف به، فقد جاء في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب ﵁ أنّه قال: «مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي فَقَالَ: يَا عُمَرُ، أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ؟!، وَإِنِّي إِنْ أَعِشْ أَقْضِ فِيهَا بِقَضِيَّةٍ يَقْضِي بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَمَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ»[4]، ووردت أيضًا في حديث عبد

(1) البخاري، الحديث رقم: (4993).
(2) الداني، البيان، ص: 146.
(3) الزركشي، البرهان: 1/194.
(4) مسلم، الحديث رقم: (567).

اللّه بن مسعود الذي أخرجه البخاريّ بسنده عنه أنّه قال: «قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: (اقرأ عليّ)، قلت: يا رسول اللّه، آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (نعم)، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: 41]، قال: (حسبك الآن)، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»[1].

و تُعرف سورة الطلاق بأنّها سورة النّساء الصُغرى أو القُصرى إزاء سورة النّساء الطُّولى وهي البقرة لما أخرجه البخاريّ عن ابن مسعود ﷺ قولَه: " أتجعلون عليها (المرأة الحامل المُتوفّى عنها زوجها) التّغليظ ولا تجعلون لها الرّخصة؟ لنزلت سورة النّساء القصرى بعد الطولى[2]"ويقصد بالطولى سورة البقرة لأنّ الحديث عن عدّة المُتوفّى عنها زوجها إنّما ورد فيها، وقد تفرّد الفيروزأبادي بتسمية سورة النساء بأنّها سورة النساء الكبرى[3]، وينبغي أنّه وهم، حيث قال ابن عاشور عن رأيه هذا: "لم أره لغيره[4]".

وأمّا عن سبب تسميتها بالنّساء فلأنّها تكرّرت فيها لفظة النّساء نحو (11) مرّة، فتكون التّسميّة لها من باب إكرام النّساء والعناية بهنّ، لأنّ ما نزل منها في أحكامهنّ أكثر ممّا نزل في غيرها[5]، ولكنّ اسم السورة قد يرتبط أحيانًا بمحور السورة بشكل مباشر أو غير مباشر، فعند من يرى أنّ محور سورة النّساء يقوم على خطّين متوازيين وهما: الإنصاف والإصلاح[6]؛ فإنّ النّساء هنّ مظنّة الجور وترك الإنصاف عبر العصور، وقد يكون لهنّ دورٌ في كثير من الخصومات التي تستوجب الإصلاح، لذا بيّنت الآية الأولى من السورة بعض الحقائق المتعلّقة بطبيعة المرأة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1].

فهي مخلوقة من عين عنصر الرجل، وهي مكمّلة له، وهي أصلٌ في تكوين المجتمع البشريّ، وأنّه لا أفضليّة مطلقة لأحد النوعيْن على الآخر، لذا أنصفتها السورة في

(1) البخاري، الحديث رقم: (4763).
(2) البخاري، الحديث رقم: (5050).
(3) الفيروزأبادي، بصائر ذوي التمييز: 1/169.
(4) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/211.
(5) القاسمي، محاسن التأويل: 5/4.
(6) خليفة، التفسير التحليلي لسورة النّساء: 1/22.

قضايا أخرى كثيرة كالحقوق الماليّة، فأعطتها حقّها وحرّمت أكل مالها، وأمرت بعشرتها بالمعروف: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: 19]

وحرّم على الزوج أن يستولي على شيء من مالها بغير حقّ: ﴿وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٢١﴾ النساء: 21

وأمر بالعدل معها في المعاملة: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ النساء: 129

وأمّا في محور الإصلاح فتظهر عناية السورة بالنّساء في هذا الجانب بوضوح أيضًا في حالة اقترافهنّ للفاحشة لا سمح الله: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعٗا مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ [النساء: 15].

وكذلك في حالة نشوز المرأة: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: 34].

ويظهر هذا الإصلاح جليًّا في محاولة التوفيق بين الزوجين عند حدوث شقاق: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾ [النساء: 35].

ويظهر هذا الإصلاح أيضًا في ضرورة قناعة كلّ من الزوجين بما قسمه الله له: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢﴾ [النساء: 32].

❁ المناسبات بين سورة النّساء والسور المجاورة والمشابهة لها:

جاءت سورة النساء بعد سورة آل عمران في ترتيب المصحف الشريف وهناك سلسلة من العلاقات الموضوعيّة والأسلوبيّة المشتركة بين السورتيْن، فإذا كانت سورة آل عمران

في شطرها الأول قد صوّرت ضلالات أهل الكتاب من يهود ونصارى في شأن آل عمران ومريم ﷺ، وفي ادّعاءاتهم الباطلة في الدين، حيث طالبتهم السورة الإنصاف في ذلك، فسورة النّساء أكملت ردّ أباطيلهم ونفت عن المسيح ﷺ قتله وصلبه، فالسورتان تشتركان في حقيقة هذا الإنصاف وإن كان ظهوره في سورة النّساء آكد وأبلغ[1]. فضلًا عن اشتراك السورتيْن في تناول قضايا الجهاد والقتال كلّ سورة بحسب مقتضاها، وإذا كانت سورة آل عمران قد اختتمت بالحديث عن جزاء المتّقين ثمّ الأمر بالتّقوى فقد ابتدأت النّساء بالأمر بالتّقوى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران 198 - 200].

و كان من أواخر سورة آل عمران عدم التّفريق بين الذكر والأنثى في الحساب في قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ [آل عمران: 195] وجاءت التّسوية بينهما في الجزاء في النّساء: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: 124]

و ذكرت آل عمران الراسخين في العلم إجمالًا على أنّهم يؤمنون بالكتاب محكمه ومتشابهه، ثمّ جاءت سورة النّساء لتبيّن لنا صفاتهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: 7] وقال في النّساء: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النساء: 162].

وأمّا الترابط بين سورة النّساء وبين سورة المائدة فيقول عنه السيوطيّ: "وأمّا اعتلاقها (المائدة) بسورة النساء، فقد ظهر لي فيه وجه بديع جدًّا؛ وذلك أن سورة النساء اشتملت على عدة عقود صريحًا وضمنًا فالصريح: عقود الأنكحة، وعقد الصداق، وعقد الحلف،

(1) خليفة، ابراهيم، التفسير التحليلي لسورة النّساء: 1/93.

في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾ [النساء: 33]، وعقد الأيمان في هذه الآية، وبعد ذلك عقد المعاهدة والأمان في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾ [النساء: 90]، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ﴾ [النساء: 92].

والضمني: عقد الوصية، والوديعة، والوكالة، والعارية، والإجارة، وغير ذلك من الداخل في عموم قوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: 58]، فناسب أن يعقب بسورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقود، فكأنه قيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: 1] التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت، فكان ذلك غاية في التلاحم والتناسب والارتباط، وقد ختمت المائدة بصفة القدرة، كما افتتحت النساء بذلك.

وافتتحت النساء ببدء الخلق، وختمت المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء، فكأنهما سورة واحدة، اشتملت على الأحكام من المبتدأ إلى المنتهى.

ولمّا وقع في سورة النساء: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: 105] الآيات، وكانت نازلة في قصة سارق سرق درعًا، فصّل في سورة المائدة أحكام السرّاق والخائنين.

ولمّا ذكر في سورة النساء أنّه أنزل إليك الكتاب لتحكم بين الناس، ذكر في سورة المائدة آيات في الحكم بما أنزل الله حتى بين الكفار، وكرّر قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: 44، 45، 47].

فانظر إلى هذه السور الأربع المدنيات، وحسن ترتيبها، وتلاحمها، وتناسقها، وتلازمها"[1].

وأمّا ارتباط سورة النّساء بالسور المشابهة لها موضوعًا وأسلوبًا، فيشبهها في المطلع سورة الحج التي بدأت بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وقد تنبّه لها الإمام الرازي فقال: " وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ سُورَتَانِ أولهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أَحَدُهُمَا: فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ: وَهِيَ السُّورَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ سُورَةِ النِّصْفِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّ أُولَاهَا الْفَاتِحَةُ وثانيتها البقرة وثالثها آلُ عِمْرَانَ وَرَابِعَتُهَا النِّسَاءُ.

(1) السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص: 78.

وَثَانِيَتُهُمَا: فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقُرْآنِ وَهِيَ أَيْضًا السُّورَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ سُوَرِ النِّصْفِ الثَّانِي أُولَاهَا مَرْيَمُ، وَثَانِيَتُهَا طه، وَثَالِثَتُهَا الْأَنْبِيَاءُ، وَرَابِعَتُهَا الْحَجُّ.

ثُمَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الَّتِي فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ تَشْتَمِلُ على شرح المبدأ فقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ [النساء: 1] ويا أَيُّهَا النَّاسُ الَّتِي فِي النِّصْفِ الثَّانِي تَشْتَمِلُ على شرح المعاد فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾ [الحج: 1] فَسُبْحَانَ مَنْ لَهُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ أَسْرَارٌ خَفِيَّةٌ، وَحِكَمٌ مَطْوِيَّةٌ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْخَوَاصُّ مِنْ عَبِيدِهِ"[1]، وقد تحدّثت الآية الثانية من سورة الحج عن أحوال النّساء عند رؤية أهوال الساعة بقوله: ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج: 2].

فضلًا عن اشتراك السورتيْن في الحديث عن النّاس وأقسامهم وحالاتهم.

وتشبهها أيضًا سورة الأحزاب في مجيء ﴿كَانَ﴾ في فواصلها مع أسماء الله الحسنى، حيث وردت في النّساء نحو (42) مرّة في فواصل الآيات المذيّلة بأسماء الله الحسنى، وفي الأحزاب نحو (18) مرّة، وكلا السورتيْن مدنيّتان تعالجان تنظيم المجتمع المسلم وترتيب أوراقه.

❁ الخصائص الموضوعيّة والأسلوبيّة للسورة:

امتازت سورة النّساء بمجموعة من الخصائص التي انفردت بها عن غيرها من السور موضوعًا أو أسلوبًا، حتى لو شاركتها في قضايا وأساليب، فقد تحدّثت مطولًا عن العدل والقسط، وعن اليتامى وأحكامهم، حيث وردت كلمة (اليتامى) فيها نحو (8) مرّات من أصل (14) مرّة في القرآن، وتحدّثت عن أحكام النّساء: زوجة وأمًّا وجدّة وأختًا وابنة ويتيمة ومستضعفة وقويّة وغير ذلك، وتحدّثت عن أحكام التوارث وعن أحكام الضّعف والاستضعاف والكلالة وهي تمثل حالة ضعف، حيث تكرّرت كلمة الضعف ومشتقّاتها في السورة نحو (7) مرّات، وقد فرّقت السورة بين الضّعف الجِبِلّيّ الذي يُعذر أصحابه فيه، وبين الاستضعاف الاختياريّ الذي يمثّل حالة من الرضا فيه، وأصحابه لا عُذر لهم فيه،

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 5/281.

فحالهم حال المستكبرين في ذلك، وتحدّثت كذلك عن أحكام تعدّد الزوجات، والقوامة، ونشوز كلّ من الزوجين، وعن صلاة الخوف، وعن أحكام السفهاء، وتحدّثت عن المنافقين وأهل الكتاب حديثًا يتّفق وشخصيّتها ومحورها الذي قامت عليه.

وانفردت السورة ببعض أساليبها الخاصّة من مثل مجيء بعض الألفاظ الفريدة من أسماء وأفعال ليس لها من مادّتها وجود آخر في القرآن مثل: ﴿حُوبًا﴾ [النساء: 2]، ﴿أَفْضَىٰ﴾ [النساء: 21]، ﴿بِٱلْجِبْتِ﴾ [النساء: 51]، ﴿نَضِجَتْ﴾ [النساء: 56]، ﴿لَّيُبَتِّكُنَّ﴾ [النساء: 72]، ﴿أَذَاعُواْ﴾ [النساء: 83]، ﴿يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ [النساء: 83]، ﴿مُرَٰغَمًا﴾ [النساء: 100]، ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ [النساء: 119]، ﴿كَلَٰلَةً﴾ [النساء: 12]، وهي مرتبطة بسلسلة علاقات خاصّة مع محور السورة العام.

وانفردت ببعض الأبنية والصيغ الفريدة التي لم تتكرّر من مادتّها في موضع آخر من القرآن مثل: ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: 129]، ﴿تَعُولُواْ﴾ [النساء: 3]، ﴿نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء: 34]، ﴿ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: 34]، ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ [النساء: 23]، ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ﴾ [النساء: 34]، ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: 34]، ﴿قَوَّٰمُونَ﴾ [النساء: 34]، ﴿ٱلْعَنَتَ﴾ [النساء: 25]، ﴿طَابَ﴾ [النساء: 3] و﴿طِبْنَ﴾ [النساء: 4]، ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: 4]، ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ [النساء: 4]، ﴿نِحْلَةً﴾ [النساء: 4]، ﴿ضِعَٰفًا﴾ [النساء: 9]، ﴿طَوْلًا﴾ [النساء: 25]، ﴿شَجَرَ﴾ [النساء: 65]، ﴿أَرْكَسَهُم﴾ [النساء: 88] و﴿أُرْكِسُواْ﴾ [النساء: 91]، ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ [النساء: 108]، ﴿تَلْوُۥٓاْ﴾ [النساء: 135] ﴿وَلِيًّا﴾ [النساء: 45]، ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ [النساء: 143]، ﴿ٱلدَّرْكِ﴾ [النساء: 145]، ﴿بَيَّتَ﴾ [النساء: 81]، ﴿ثُبَاتٍ﴾ [النساء: 71]، ﴿تَقْصُرُواْ﴾ [النساء: 101]، ﴿يَسْتَنكِفَ﴾ [النساء: 172]، ﴿صَلَبُوهُ﴾ [النساء: 157].

وامتازت السورة بذكر أسماء الله الحسنى في فواصل نحو (56) فاصلة من فواصلها، حوت (25) اسمًا من أسماء الله الحسنى دون تكرار، سواء أكانت أسماء مفردة أم مركّبة، وأكثرها ورودًا كان: عليم، حكيم، غفور، رحيم، وهذا يتّسق مع أحكامها وتشريعاتها الصادرة عن عليم حكيم وغفور رحيم لمن خالفها دون تعمّد، وأكثر هذه الأسماء في فواصلها اقترنت بـ (كان) المجرّدة عن الزمان والمكان، ممّا أعطى السورة مزايا فريدة لم تأت لغيرها وإن شاركتها بعضها.

وكذلك كثر في السورة أسلوب ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ بنحو ثمان مرّات، وهي نصف عددها في القرآن كلّه، ودلّ هذا الأسلوب على ضرورة الامتثال لأحكام الله تعالى في السورة الكريمة والاكتفاء بها دون التحاكم إلى غيره كما هو شأن المنافقين.

فضلًا عن بروز ظاهرة الشرط فيها بما يزيد عن أكثر من (120) جملة شرطيّة تنوعّت أساليبها وطرائقها، وذكر أو حذف أجوبتها، وهذا متلائم تمامًا مع طبيعة تشريعاتها وأحكامها.

وامتازت أيضًا بأنّها نفت الظّلم عن الله تعالى قليله وكثيره ولو بمقدار (فتيل)[1] أو (نقير)[2] أو (ذرّة)[3].

إنّ من شأن هذه الخصائص الموضوعيّة والأسلوبيّة أن ترسم لنا ملامح هوية السورة ومحورها العام الذي تنتظم آياتها حوله، سواء أكان متعلّقًا بالإنصاف والعدل أو بالإصلاح أو بعلاج الضعف وغيره.

❁ المحور الذي تدور حوله موضوعات السورة:

يرى الشيخ محمود شلتوت أنّ سورة النّساء تعالج الاستقرار الداخليّ والاستقرار الخارجيّ للمجتمع المسلم، فالاستقرار الداخليّ أساسه صلاح الأسرة، وصلاح المال في ظلّ تشريع قويّ عادل مبنيّ على مراعاة مقتضيات الطبيعة الإنسانيّة، والاستقرار الخارجيّ أساسه احتفاظ الأمّة بشخصيّتها، والاستعداد لمقاومة الشرّ الذي يطرأ عليها، والعدوّ الذي يطمع فيها[4]، وتقدّم رأي من يقول إنّها تعالج محوريّ الإنصاف والإصلاح، ولا يبعد عن هذا وذاك من يرى أنّ محور السورة الكريمة هو إحقاق العدل وإقامته، أو تحقيق التكافل الاجتماعيّ في المجتمع المسلم، وكلّ ذلك صحيحٌ ومعقولٌ، ويمكن الجمع بين ذلك كلّه في قولنا: إنّ سورة النّساء تتناول مقوّمات التّشريع الإسلاميّ الصالح لتدبير شؤون الإنسانيّة جمعاء، من خلال عناصره الثلاثة: المُشرّع، والتشريع، والمكلّفين، فأكثرت السورة من ذكر صفات هذا المُشرّع القائمة على العلم والحكمة، والمغفرة والرحمة وغيرها من الصفات الجليلة التي ذكرتها السورة، فهو الأعلم بما يُصلح العباد في شؤون دنياهم وأخراهم.

(1) الآيتان (49، 77).
(2) الآية: 124.
(3) الآية: 40.
(4) شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، ص: 137.

وأكثرت السورة من أسلوب المبالغة في نفي الظّلم عن اللّه ﷻ ولو كان بمقدار ذرّة أو فتيل أو نقير، وتناولت السورة كذلك هذه الشريعة الغرّاء، فبيّنت مقاصدها الخمسة، التي تكفل تحقيق مطالب الإنسان في كلّ زمان ومكان، من تحقيق الحرّية والإخاء والعدل، فتحدّثت عن حفظ الدين والنّفس والنّسل والعقل والمال، فبيّنت أهميّة الحفاظ على الدين حتى لو اقتضى الأمر الهجرة وترك البلدان، أو القتال لأجل إحقاق كلمة الدين، وتحدّثت عن حفظ النّفس فحرّمت قتلها بغير حقّ، وتناولت المال وبيّنت مصادر كسبه وإنفاقه وما يتعلّق به حتّى عدّها بعضهم سورة المال، وكذا تناولت حفظ العرض والنّسل من خلال تحريم الزنا والأخدان والأنكحة المحرّمة، وبيّنت أحكام الحياة الزوجيّة، وحكم من لم يستطع نكاح المحصنات، وبيان أحكام الأسرة بالتّفصيل، وكذا تناولت حفظ العقل بترك ما يعطّله من خمر أو غيره، وتناولت كذلك المكلّفين المخاطبين في هذه الشريعة، وبيّنت أنّهم سواء في الجزاء والعمل؛ فلا فرق بين قويّ وضعيف ورجل وامرأة، وبيّنت السورة مواقف النّاس أمام هذه الشريعة بين إيمان خالص ونفاق زائف وكفر بواح، وبين قادر كامل الأهليّة، ومعذور ناقص الأهليّة، فشرعت الرّخص عند نقصان الأهليّة لأصحاب الأعذار فشرعت الهجرة للضعفاء، وصلاة الخوف في الحرب، وتناولت وسائل الإصلاح بين الزوجين، وتناولت أحكام اليتامى والسفهاء، وهم أكثر النّاس ضعفًا، وشرعت التوبة للمذنبين، وبيّنت كثرة مغفرة اللّه ورحمته بهم، وبيّنت آثار إقامة هذه الشريعة ومآلات الخروج عليها في الدنيا والآخرة، وهناك أكثر من آية في السورة الكريمة لامست هذا المحور الرئيس في بيان مقاصد الشريعة التي تلبّي حاجات الإنسان عبر تنوّع الأزمنة والأمكنة من مثل قوله تعالى في السورة الكريمة: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: 36].

وقوله عن التوبة عند الخروج عن تطبيق بعض شريعته: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ [النساء: 18].

وقوله عن سبل تحقيق شريعته: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾

[النساء: 58 - 59].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»